التحالف الإسلامي العسكري لمحاربة الإرهاب
ISLAMIC MILITARY COUNTER TERRORISM COALITION

الخلايا النائمة أسلحة مرعبة

الدكتور منصور بن سعيد القرني

باحث ومهتم بقضايا التطرف العنيف وإعادة التأهيل والإدماج

قضايا الإرهاب

إصدار شهري يصدر عن التحالف الإسلامي العسكري لمحاربة الإرهاب

المشرف العام

اللواء الطيار الركن محمد بن سعيد المغيدي

الأمين العام للتحالف الإسلامي العسكري لمحاربة الإرهاب / المكلّف

رئيس التحرير

عاشور بن إبراهيم الجهني

مدير إدارة الدراسات والبحوث

ملاحظة: الأفكار الواردة في هذه الدراسة تعبّر عن رأي الكاتب ولا تعبّر عن رأي التحالف بالضرورة

الخلايا النائمة أسلحة مرعبة

الدكتور منصور بن سعيد القرني

باحث ومهتم بقضايا التطرف العنيف وإعادة التأهيل والإدماج

تمثل الخلايا النائمة Sleeper Cells الخطر الداهم على المجتمع المستهدف. وإذا كانت الفتنة أشد من القتل كما قال تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾. (سورة البقرة، الآية: 191). فإن الخلايا النائمة قد تؤدي بعض أدوار الفتنة في الدين وفي النفس، بل وفي الضرورات الخمس؛ ولهذا فهي الأداة الأكثر خطرًا للقتل والتدمير إذا ما استيقظت من حالة السكون، وتحركت لتنفيذ الفعل الإرهابي. ذلك أنه يتم صناعتها لتكون البديل للعمل الإرهابي الذي يمارسه التنظيم الأم. وحتى تحين ساعة الصفر بالتحول فإنها تمارس الخداع والتخفي والتمويه. وإذا ما تحولت إلى الحركة والتحرك فإنها تمارس العنف بالاستهداف العشوائي العنيف؛ لذلك كانت أشد فتكًا من الأنشطة القتالية الأخرى؛ ولهذا تجد فيها تنظيمات التطرف العنيف وبعض الدول العدائية، الوسيلة المناسبة في إلحاق الأذى والضرر المؤلم بالدول والمجتمعات المستهدفة.

إن ظاهرة الخلايا النائمة التي أضحت إحدى أبرز التهديدات الأمنية الجديدة التي تشكل خطرًا على أمن الدول وعلى الحقوق وحريات الأفراد، لا سيما أنها أكثر مرونة في تحركاتها لمصلحة التنظيم الذي تتبع له، ليس ذلك فحسب، بل تتجاوز الحدود؛ أي حدود المنطقة الجغرافية التي ينتشر فيها التنظيم، أو تستهدفها تنظيمات التطرف العنيف، وهذا ما أهَّلها لأن تكون أكثر خطرًا وفعاليةً، وذلك بالنظر في تنوع مستهدفاتها والتي لا تميّز فيها بين الأهداف المدنية والعسكرية، وبين الصغير والكبير، والمسالم والمحارب، بل إنها تستهدف كل ذلك قصدًا مع سبق الإصرار، دون أي رادع أو تأنيب ديني أو أخلاقي أو إنساني، وبالتالي فهي تمثل تحديًا مهمًّا للوكالات الأمنية.

إن خطورة الخلايا النائمة لا تقل عن خطورة خلايا التنظيمات الإرهابية المتحركة التي يسند لها الفعل العسكري والإرهابي، ذلك أنها في الواقع تمثل البديل المهم والفعال لتلك الخلايا والعناصر النشطة لجماعات التطرف العنيف. فإذا ما تعرضت تلك التنظيمات أو أفرعها العسكرية للضربات الأمنية أو عرقلة نشاطها في المجتمعات المستهدفة، يتم اللجوء لتلك الخلايا

النائمة، بحسب طبيعة المواقف المستجدة، وبحسب فلسفة كل تنظيم إرهابي. ولذلك فإنه من خلالها وعن طريقها، تبقى تلك التنظيمات حيَّة ونشطة ومقلقة، ومستمرة في إزعاج المجتمع الدولي، وتحديدًا المجتمعات المستهدفة.

يتبين ذلك بوضوح إذا ما ضُربت تلك التنظيمات، أو تم اغتيال قياداتها، أو أفل نجمها، أو انكمشت واندحرت. ولذلك تكون إستراتيجية الخلايا النائمة، التي تتحول في مواقف معينة إلى خلايا إرهابية؛ أي تتحول إلى (قوة فاعلة ومؤثرة على الأرض)، وبحسب توجيهات قيادة التنظيم الأم؛ لتكون البديل الذي يرفع الروح المعنوية لكل عناصر تنظيم التطرف العنيف ومؤيديه ومناصريه، وفي الوقت نفسه إرباك الخصوم وإصابتهم بالصدمة النفسية والإحباط والعودة بهم إلى المربع الأول، بعد أن انتشوا بالتغلب على التنظيم التطرفي العنفي بضربه أو قتل بعض قياداته المهمة.

وتأسيسًا على ما سبق، نؤكد على خطورة الخلايا السرية؛ لأن عناصرها يعيشون بصورة طبيعية بين أفراد المجتمع، ومن الصعب معرفة عددها وعدتها، ويتسمون في الغالب بالمظاهر المقبولة اجتماعيًا وغير الملفتة، وبالتالي يصعب - إن لم يكن من المستحيل - التحقق من عناصر تلك الخلايا وكشفهم والتعرف عليهم، أو الشك فيهم؛ لذلك هم يعيشون في المجتمع في العلن وتحت الأنظار، وعلى الأرجح بغطاء يبعد الشبه عنهم. لكنها إذا ما استيقظت تعمل على فتح جبهات داخلية. ويزيد الأمور خطورة دور التقنيات الحديثة التي أسهمت وبصورة كبيرة في صعوبة الكشف عنهم، وكيفية استقطابهم وتجنيدهم وتدريبهم والتواصل معهم من قبل التنظيمات الأم المرتبطين بهم.

المدخل الفلسفي

البحث في موضع الخلايا السرية أو النائمة كأحد إستراتيجيات التطرف العنيف شائك ومعقد، وذلك من حيث المفهوم، ومن حيث نوع تلك الخلايا وصفاتها، وكذلك من حيث تشكّلها وطبيعة أعمالها. أيضًا لسرية أعمالها التي لا تنسجم مع النظام أو العقد الاجتماعي القائم قديمًا بقدم التاريخ، الذي يُعد خروجًا على النواميس والضوابط الاجتماعية، وهو كذلك عمل يضاد الفطرة الإنسانية في تحقيق الحياة الطبيعية. وبالتالي فهي من المنظور الأمني خطرًا على الأمن الاجتماعي بمفهومه الشامل، نتيجة الزعزعة الأمنية التي قد تحدثها وما يترب على ذلك من اضطراب اجتماعي في كل أو بعض مؤسسات الدولة المستهدفة.

على الرغم من البعد التاريخي للأعمال السرية التخريبية والارهابية، إلّا أنه بعد الحرب العالمية الثانية، ومع نشوء الحرب الباردة نشطت الخلايا السرية، لكنها في هذه الحالة كانت تؤدي الوظيفة الاستخبارية، وتبناها أطراف تلك الحرب. وقد كان التركيز في تلك المرحلة على جمع المعلومات التي تكشف اتجاهات العدو في جميع المجالات التنموية في مجتمعه، لكن ظل التركيز على المجال العسكري وتطوره وخطورته، وإلى أين وصل؟ وهو ما أدى ذلك في كثير من الأوقات إلى ما سمي بسباق التسلح. ثم وفي تطور لافت كان يوكل لبعض تلك الخلايا بعض الأفعال العنيفة، كالعمل التخريبي، لا سيما في معسكرات العدو، هذا إلى جانب العمل المعلوماتي.

اتسعت مهام الخلايا السرية فيما بعد، وأصبحت تشكل خطرًا على المجتمعات، بل أصبحت صناعة يتم استخدامها في الإضرار بجماعات ودول، ومثلت في مرحلة معينة أداة ضغط لتحقيق مكاسب سياسية أو اقتصادية. لكن الدور الأبرز لها تمثل في العمل الإرهابي بوصفه أحد وسائل العمل الإرهابي لتنظيمات التطرف العنيف، أو بديلاً لوسائلها التقليدية. ولذلك كانت أداة مهمة لتنظيم «القاعدة» التي توسعت في استخدام هذا النوع الإرهابي من حيث الكم في عدد الخلايا وعناصره، وفي المناطق الجغرافية المستهدفة بها. وأيضًا سار تنظيم «داعش» على هذا النوع الإرهابي مع بعض التعديل في عدد عناصر الخلايا، من حيث الاكتفاء بعنصر أو فرد واحد في الخلية الواحدة، ودون هيكلة تنظيمه مع حرية في الاستهداف والتنفيذ.

وتعد الخلايا السرية – كما أشرت سابقًا – من أكثر الأدوات الإرهابية خطورة، لعوامل عدة، من أهمها: أن أفرادها يعيشون في الوسط الاجتماعي بصورة طبيعية، ويمارسون حياتهم كغيرهم من أفراد المجتمع، ودون أن يلاحظ عليهما أي مؤشرات تضعهم في دائرة الشك، ولذلك من الصعوبة بمكان اكتشافهم. وإذا ما تم اكتشاف خلية، فإنه يصعب كشف الخلايا الأخرى من خلال تلك الخلية المكتشفة، بسبب اختلاف طبيعة تشكل كل خلية، وأيضاً طبيعة تجنيدهم وتدريبهم التي سهلتها التقنيات الحديثة، وغالبًا تتم عن بعد، وفي الغرف المغلقة في منازلهم، بعيدين عن الأنظار.

وكل ذلك يسَّر لهم التخفي والسرية في التحرك وممارسة الأنشطة التي تخدم العمل الذي جُنِّدوا من أجله. وهذا ما جعل البعض يطلق عليهم الخلايا اليقظة وليست النائمة، ذلك أنها يقظة ومحترسة، تنتظر الإشارة لتقوم بتنفيذ المهام الموكلة بها، وبالتالي لا تتورع عن تنفيذ أشد الأعمال الإرهابية دون أن يمنعها رادع ديني أو اخلاقي أو إنساني. إنها ضمائر ميته مسلوخة من الضمير والمواطنة تسير باتجاه واحد حُدِّد لهم من قبل الوصاية الفكرية التنظيمية الإرهابية. (الكاش، 2009).

اليوم.. وربما في المستقبل، ستعتمد تنظيمات التطرف العنيف بدرجة كبيرة على إستراتيجية البدائل الفعالة للأعمال العسكرية المنظمة، خاصة بعد أن مُني الكثير منها بالضربات الأمنية والنكسات العسكرية، وتحديدًا تنظيمي «القاعدة» و «داعش». والبدائل ستتعدد وتتنوع، وسيصبح منها المستجد والمستحدث. لكن، ستكون إستراتيجية الخلايا النائمة، والذئاب المفردة، هي الأكثر بروزًا في الوقت الحالي، وربما إلى وقت ليس بالقصير. يدفع إلى القول بهذا الاتجاه إمكانية تحقيق الأهداف التطرفية العنيفة بأقل الخسائر البشرية والمادية لتلك التنظيمات، وكذلك إمكانية التجنيد والتدريب وإصدار الأوامر، فكرًا وسلوكًا عن بعد، في ظل التقنيات الحديثة؛ وأيضًا في ظلّ شلّ قدراتهم العسكرية والتنظيمية من قبل المجتمع الدولي بتحالفاته المختلفة، وكذلك السيطرة الأمنية في الدول التي يتم استهدافها من قبل تلك التنظيمات أو بعضها.

مفهوم الخلايا النائمة

يطلق عليها العديد من الأسماء، ومنها: (الخلايا النائمة، الخلايا الساكنة، الخلايا الكامنة، الخلايا المنومة، الخلايا المخدرة، الخلايا الناعمة، الخلايا اليقظة، الخلايا الإرهابية، الخلايا المتأهبة، ...إلخ). وإذا ما رأينا عدم الإشكال في تلك الأسماء، فإنها في نهاية المطاف تعبر عن هذا الأسلوب الإرهابي.

والخلايا النائمة، مجموعات صغيرة من الأفراد، وكل مجموعة قد لا تتجاوز عشرة عناصر، وقد تتكّون من فرد واحد، مع أنه في حالات محدودة تجاوزت ذلك. وهذه الخلايا يتم إنشاؤها من قبل التنظيمات الإرهابية، بحيث يتم تأهيلها لما يُطلب منها إذا ما رأت ذلك قيادة التنظيم الأم. فهي في حالة سكون لكنها متأهبة ليتم استخدامها خلايا إرهابية في تنفيذ عمليات معينة، أو بدائل عنها حال ضاق الخناق عليها، وأيضًا لتشتيت الجهود والانظار الأمنية عنها، وكذلك تستفيد منها في حال الرغبة الانتقامية من شخصية أو مؤسسة أمنية أو اتجاه سياسي معين.

إن الخلايا النائمة رغم كونها مصطلحًا جديدًا دخل عالم الحروب السرية، فإنها تتميز عن غيرها من الأساليب الإرهابية بمزايا، منها: صعوبة معرفة عددها وعدتها، وتعمل على فتح جبهات داخلية، وتسهل عملية تقدم الجهة التي يعملون معها، وغالبًا لا يوجد هيكل تنظيمي للخلايا يحدُّ من حريتها الإرهابية، أيضًا فإن التوصّل إلى خلية لا يسهل كشف بقية الخلايا، فهي تتوزع داخل مؤسسات ومراكز حيوية لكل واحد مهمة، وهي أشد فتكًا من القوات العسكرية. (هدنة، 2017).

وعليه، فإن الخلايا النائمة تُعرّف وفق ما جاء في موقع The Free Dictionary على: «أنها المجموعة التي تعيش في المجتمع، ولا تقوم بأي أنشطة حتى تتلقى أمرًا أو تقرر اتخاذ إجراء آخر. وترتبط الخلية النائمة بعمليات سرية، مثل التجسس والإرهاب». (المركز الأوروبي لدراسات مكافحة الإرهاب والاستخبارات، 2021).

كما عرفها مهدي (2010) بأنها «الخلايا أو المجموعات التي تعمل في الخفاء، وتستخدم من قبل الجهات المنتمية لها أو التي تدين لها بالولاء الفكري أو العقائدي أو الأيديولوجي، للقيام بمهام محددة داخل المجتمع الذي تعيش فيه».

في ضوء ما تقدم يمكن تعريف الخلايا النائمة، على أنها: مجموعة محدودة من الأفراد، يتم تشكيلها بطريقة سرية، تذوب في المجتمع، وتعمل بسكون، بعد أن تؤهل فكرًا وسلوكًا، لتنفيذ العديد من المهام، بحسب التخطيط المرسوم لها من القيادة التنظيمية؛ وتمتثل لأوامر القيادة التنظيمية في تنفيذ مهامها الموكلة لها، والتي تتنوع بحسب الأهداف التي يسعى التنظيم الأم لتحقيقها، والتي تتأرجح ما بين جمع المعلومات وتنفيذ الأعمال العنيفة بما في ذلك القتل والاغتيال، ولذلك دائما ما تعمل في الخفاء، وبحذر شديد.

إشكالية الترادف المفاهيمي

فيما سبق تمت الإشارة إلى عدة مفاهيم أو مصطلحات يتم تناولها على أنها مرادفة أو معبرة عن الخلايا النائمة، ومع أن من بينها ما هو كذلك، إلّا إن بعضها ليس كذلك، وإن كانت بعض تلك المفاهيم فيما تعبر عنه في الواقع، تتقاطع في بعض الآليات والفنيات والمآلات. ومن تلك المصطلحات (الخلايا الإرهابية، الذئاب المنفردة، خلايا التماسيح، سمكة البر، المناصرون والمؤيدون) التي تختلف في المهام والممارسة عن الخلايا النائمة، يتبين ذلك من خلال ما يلي

أولًا: الخلايا الإرهابية

الخلايا (الإرهابية أو المتحركة) في مقابل (النائمة أو الساكنة)، وكلتاهما تحظى بأهمية قصوى عند تنظيمات التطرف العنيف، والنظر إلى تلك الخلايا كأحد أهم ركائزها الإرهابية، وهو ما يدفع على تبنيها بقوة والعمل على تشكيلها وتدريبها علميًا وعمليًا. ولذلك يتم تشكيل الخلايا من عدد محدد من الأفراد من الجنسين، على مستوى الخلية الواحدة (مختلطة) أو على مستوى مجموعة الخلايا (غير مختلطة)، ويتم ربطها تنظيميًا وفكريًا بتنظيم معين، وتحدد لكل نوع منها مهام محددة.

على الرغم من التشابه الكبير بينهما إلى درجة التماثل في كثير من المواقف، وهو ما يمكن النظر على أنه تداخل بين المفهومين، ويعبر كل منهما عن الآخر، وأنهما وجهان لعملة واحدة، استنادًا لفلسفة تنظيم «داعش» الإرهابية العشوائية أو التشابكية. وهذه التشابكية بين المفهوم هو الدارج في الأدبيات الإعلامية والسياسية والبحثية، بالنظر إلى تحقق الفعل الإرهابي من كلا النوعين في نهاية المطاف، وأيضًا لأن قيادات تنظيمات التطرف العنيف لا تهتم كثيرًا، أو لا تقف على الأسماء أو التفريق بين المصطلحات، بقدر اهتمامها بالنتائج وتحت أي اسم كان؛ كذلك فإن بعض العناصر التي يتم القبض عليها لا تدرك مثل تلك الفروقات، ولذلك ما أن يعترف بعضويته لتنظيم تطرفي إلا ويكشف على أنه عنصر في خلية إرهابية، ويتساوى عنده ما إذا كان عنصر خلية متحركًا أو نائمًا، فلا فرق لديه بمعيار أنه منظم لتنظيم معين وينفذ

التوجيهات التي تردهم من القائد المرتبط به.

في حين أن هناك من يحاول التفريق بين المفهومين، بالنظر إلى الطبيعة الزمنية لكل نوع منهما، وبالنظر إلى أن هناك خلايا تمثل بديلاً (النائمة)، وهناك أخرى تعد جزءًا من العمل الإرهابي أو العسكري في الآن (متحركة). وهذا النوع من التصنيف ربما كان ضمن فلسفة تنظيم القاعدة، حيث كان ينشئ خلاياها في كثير من المواقف التنظيمية بصورة أكثر تخصصية بحسب طبيعة المهام لكل نوع منها. وهذا الاتجاه وإن كان قليلاً ما يتم تداوله بهذه التخصصية، أو بصورة التفريق بينهما، هو ما أميل إليه، على الأقل بحسب طبيعة العلم والتعلم الدقيق لطبيعة هذا اللون الإرهابي، وانطلاقا من ذلك نستعرض بعضًا من تلك الفروقات بين النوعين **على النحو الآتي**

1. في الغالب يتم تشكيل تلك الخلايا النائمة كبدائل للأعمال الإرهابية التي تمارسها تنظيمات التطرف العنيف، وتبقى في حالة السكون والركون وعدم ممارسة أي نشاط حتى يردها التوجيه من قيادة التنظيم الذي تتبع له. أمَّا الخلايا الإرهابية فهي جزء من العمل الإرهابي أو وسيلة ضمن الوسائل التي تستخدمها تنظيمات التطرف العنيف.

2. الخلايا النائمة وإن كانت في حقيقتها بدائل للعمل الإرهابي إذا ما تطلب الموقف الإرهابي ذلك، فإنها تمارس عددًا من المهام لاحقًا. بينما الخلايا الإرهابية تأتي ضمن سياق العمل الإرهابي في الآن، وتفوِّض القيادة التنظيمية لعناصر الخلية الإرهابية بالتنفيذ.

3. درجة السرية والاخفاء والتعايش اليومي بالصورة الطبيعية لدى عناصر الخلايا النائمة مرتفع بدرجة أكبر عنها بين عناصر الخلايا الإرهابية، حتى على مستوى عناصر كل خلية، وليس الأمر كذلك في الخلايا الارهابية على الأغلب، على الأقل قبل تنفيذ العمل.

4. عدد العناصر أو أفراد الخلايا النائمة في الغالب صغير، وقد لا يتجاوز خمسة أفراد، بينما في الخلايا الإرهابية قد يصل عدد أفراد كل خلية إلى أكثر من (50) عنصرًا.

5. الخلايا النائمة في الغالب تبقى في حالة السكون والركون وخمول لمدد قد تطول، وربما امتدت إلى عدة سنوات دون ممارسة أي نشاط حتى يردها التوجيه من قيادة التنظيم الذي تتبع له؛ بينما تباشر الخلايا الإرهابية أعمالها العنيفة بمجرد اكتمال متطلبات العمل الإرهابي من تدريب وتخطيط وتحديد المستهدفات.

من المهم لفت النظر إلى أن الخلايا النائمة، وعلى الرغم مما تقدم من فوارق، إلّا أنها في أغلب المواقف تكون مشروعًا محتملاً وجاهزًا لأن تكون خلايا متحركة؛ أي خلايا إرهابية، ولذلك هي تمثل بديلاً مهمًّا لها إلى جانب التنظيمات الإرهابية الأم، وبديلاً لأعمالها العنيفة التقليدية، أو تكون أحد أدواتها تستخدمها في مرحلة زمانية ومكانية معينة، إما بكونها تطورًا لأعمالها العنيفة، وإما بهدف تشتيت الجهود الأمنية وصرف الأنظار عنها.

ثانيًا: الذئاب المنفردة

الذئاب المنفردة ويطلق عليها أحيانًا (الذئب الجهادي، أو جهاد الفرد، أو الجهاد الفردي أو الجهاد المفتوح). وقد عرف «مركز فيريل للدراسات الألمانية في برلين» Firil Center For Studies FCFS Berlin Germany الذئاب المنفردة بأنه مصطلح أمني، يُطلق على أفراد يقومون بعمليات قتل، دون أن يكون لهم تنظيم أو حزب محدّد، ولم يتمَّ تكليفهم من قبل جهة أو وضع خطةٍ محكمة أو مسبقة لهم. محركهم أو دافعهم الأساس هو أفكار ومعتقدات تأثروا بها، وترسخت في عقولهم نتيجة إحباط أو حقد أو غضب على دولة أو عرق، أو طائفة أو قومية أو حتى جنس بشري ما. (مرصد الأزهر، 2020).

وانطلاقًا مما تقدم، وفي ضوء السياق التعريفي عن الذئاب المنفردة، يتبن عدم وجود تماثل بين الخلايا النائمة والذئاب المفردة، أو أن أحدهم يعبر واقعيًا عن الآخر، لا سيما من حيث عمل كل منهما ونشاطه، على الرغم من أن كلتا الفئتين تؤمن وتتبنى أفكار التنظيم الذي تنتمي إليه أو تؤيده وتتعاطف معه، وتعتنق معتقدات. إضافة إلى بعض الفروقات التالية:

1. من حيث العدد، نجد أن الذئاب المنفردة في الغالب تتكون من شخص واحد، يقوم بنفسه على الإعداد والتخطيط والتنفيذ؛ في حين أن الخلايا النائمة يكون عناصرها أكثر من واحد، لكل عنصر مهام محددة.

2. الذئاب المنفردة قد تكون في الأساس عناصر لخلايا إرهابية، لكن نتيجة ظروف معينة فضَّلت العمليات الفردية القائمة على المبادرات الفردية، لكنهم يحتفظون بأفكار الجماعات التي كانوا ينتمون إليها، دون أن تكون لهم صلات تنظيمية معها؛ في حين أن الخلايا النائمة يتم تشكيلها ابتداءً لمهمات تحددها القيادة التنظيمية لأحدى جماعات التطرف العنيف، ويرتبطون بها، ويمتثلون لأوامرها.

3. تكتيك الذئاب المنفردة يقوم على تنفيذ الهجوم بشكل منفرد دون أوامر من قيادات تنظيمات التطرف العنيف، أو من يمثلهم، وأيضًا في الغالب لا يحصلون على أي مساعدة خارجية، بينما الخلايا النائمة لا تمارس مهامها أو تنفذ ما أوكلت به دون أوامر من قيادة التنظيمات المرتبطة بها، وتحصل على المساعدات من القيادة التنظيمية.

4. الذئاب المنفردة في الغالب تتشكل كرد فعل على النجاحات الأمنية في التغلب على الخلايا الإرهابية أو التنظيمات العسكرية الإرهابية، وذلك كحل للتأقلم مع انغلاق الوضع الأمني واستحالة تواصل العمل الجماعي وضرب العمل التنظيمي الهرمي.

5. من حيث التدريب والخبرة الإرهابية، فالذئاب المنفردة أقل كفاءة من حيث التأهيل والتدريب، حيث يعتمدون على الذاتية في ذلك.

تشكّل الخلايا النائمة

بداية نؤكد على أن تشكل الخلايا النائمة لا تأخذ دائمًا بهيكلة التنظيم الأم الذي تنتمي له، ولا تعقيداته الإدارية والتنظيمية السرية منها والعلنية، لكن القيادة التنظيمية هي من يضع التصور المناسب لتشكّل الخلية أو الخلايا النائمة، أو تفويض ذلك لقائد الخلية، الذي يقوم بدوره بتشكيل الخلية وتحديد عناصرها وطبيعة مهامها، وطريقة التدريب. وكل ذلك بما ينسجم مع التوجه العام للتنظيم الأم.

والخلية النائمة تتشكل من عدة عناصر، لكن في الغالب لكل عنصر منها مهمة معينة، فمن ذلك مهمة القيادة أو الأمارة، والاختصاص بالإفتاء، وجمع المعلومات، ومهمة التموين بما في ذلك تأمين الأدوات الإرهابية، ثم مهمة التنفيذ بما في ذلك فئة الانتحاريين. مع لفت النظر أنه وحسب الطبيعة العددية الصغيرة للخلية الواحدة، فمن الممكن أن توكل أكثر من مهمة لعنصر واحد.

وعلى الرغم من أن الخلايا في الغالب لا تخضع للهيكلة التسلسلية الهرمية التي تتشكل في تنظيمات التطرف العنيف، لكن ذلك لا ينفي المرجعية والانتماء للتنظيم أو الجماعة الأم، التي ترتبط بها أيديولوجيًا بالدرجة الأولى، وإداريًا بتلقي الأوامر العليا من القيادة التنظيمية، ومع ذلك لا يقيد حرية حركاتها واختيار أهدافها الإرهابية؛ وأيضًا لا يمنعها ذلك من حرية التشكل وتوزيع الأدوار والمهام بين عناصرها وتدريب كل عنصر على المهام المنوطة به.

وهذا الاتجاه الهيكلي يجعل مهمة الملاحقات الأمنية صعبة؛ لذلك تتجه الجهات الأمنية إلى بذل جهد استخباراتي كبير لتجميع الكمية الهائلة من المعلومات المضللة في كثير من الأحيان - بعد وقوع الأحداث و«سجلات» النشاط الارهابي - لتكوين صورة عن المنظمة بأكملها؛ ومع ذلك، فإن الصورة التي تظهر تشير إلى أن المنظمات الإرهابية منظمة على المستوى التشغيلي كشبكات خلوية (الشبكي ذات الاستقلالية عن بعضها البعض، في ممارسة الأنشطة الارهابية) بدلاً من التسلسل الهرمي (Carley. 2003).

أولاً: صور تشكّل الخلايا

هناك العديد من الصور أو الأنواع التي تتشكل منها الخلايا النائمة؛ وسواءً أكان التشكّل على مستوى الخلية الواحدة، وتقسيم المهام فيما بين عناصرها بحسب طبيعة المهمة الموكلة لها. أم كان على مستوى مجموعة الخلايا التي يتم تشكيلها من طرف قيادة أو إمارة واحدة، لكن كل خلية لا تعرف عناصر الخلايا الأخرى، ولا عن طبيعة مهام كل خلية. وهذا التنوع يكون بحسب استراتيجية كل تنظيم من تنظيمات التطرف العنيف، وأيضًا بحسب الواقع الميداني للتنظيم من حيث القوة والضعف، وكذلك من حيث الأهداف والمستهدفات التي تستهدفها تلك التنظيمات وتسعى لتحقيقها. ومن تلك الصور ما يلي

1. خلايا بحسب طبيعة المهام: ما بين مهام محددة تلتزم بها قيادة الخلية وبحسب أوامر القيادة التنظيمية، وأخرى يترك فيها لقائد الخلية بتوجيه التنظيم الأم بتشكّلها، ويمنح قائدها الحرية في طريقة التشكل وعدد عناصرها، وتوزيع الأدوار الوظيفية لعناصر الخلية، وتحديد المهام. وعلى الرغم من ذلك فإنه على الأرجح تتشكّل الخلايا بحسب طبيعة المهام في الصورة المثالية، وفقًا لـ: (خلايا جمع المعلومات، خلايا المراقبة والاستكشاف، خلايا التدريب، خلايا الدعاية، خلايا صناعة أدوات الفعل الإرهابي، خلايا التمويل، خلايا التنفيذ).

2. خلايا بحسب طبيعة الهيكلة التنظيمية: تلجأ بعض تنظيمات التطرف العنيف أو كلها، إلى إستراتيجية متغيرة في صناعة الخلايا النائمة، وذلك بتشكيلها وفقًا للهيكلة التنظيمية، والتي تهدف من خلالها إلى العمل المنظم المتقن الذي يخضع للصرامة الإدارية

والتنظيمية، وصولًا إلى إتقان العمل الذي يتم تكليف تلك الخلايا النائمة به، دون انكشاف أمرهم كلهم أو بعضهم، وبالتالي تحقيق الأهداف المطلوبة. وهذا النوع يتشكّل وفقًا لاستراتيجية (الخلايا النائمة المنظمة، الخلايا النائمة العنقودية، الخلايا النائمة المستقلة).

3. خلايا بحسب المستهدفات: تلجأ بعض تنظيمات التطرف العنيف عند صناعتها الخلايا النائمة إلى نوع من التخصص في طبيعة عمل الخلية، وفقًا لنوع وطبيعة الأهداف المرشح استهدافها بالعمل الإرهابي، إذا ما أصدرت القيادة التنظيمية الأمر بذلك، وذلك لضمان عدم تشتت جهود عناصر الخلايا النائمة، وأيضًا لإتقان العمل المناط بهم تجاه الأهداف. ومن تلك الخلايا التخصصية بحسب المستهدفات (خلية الأمن، خلية التجمعات، خلية النفط، خلية المواصلات، خلايا أماكن العبادة، خلية السياحة، خلية التشويش والإرباك، خلية التدريب).

ثانيًا: آلية عمل الخلايا النائمة:

تتعدد الآليات التي تنتهجها قيادة تنظيمات التطرف العنيف، وتكلف قادة تلك الخلايا بالأخذ بها، وإلزام عناصر الخلية بعدم الخروج عنها في حالة ممارسة المهام الموكلة لهم، ما لم يرد من قيادة التنظيم أو قائد الخلية بتغييرها أو بالخروج عليها وتبني أسلوب آخر. في حين أن بعض تنظيمات التطرف العنيف تترك مساحة من الحرية والصلاحيات لقائد الخلية لرسم الآلية التي يراها مناسبة بحسب مقتضيات المواقف الإرهابية والظروف المحيطة بها. لكن في كل الأحوال فإن آليات التنفيذ لكل خلية ينسجم مع طبيعة المهام والدور التي تشكلت لأجله كل خلية.

وعلى الرغم من تنوع صور الخلايا النائمة، فإنه آلية عمل كل خلية بعد تشكّلها، في الغالب تكون على النحو التالي

1. القائد، المسؤول الأول عن عناصر الخلية، وطاعته واجبة، وفي كثير من الأحيان دون نقاش، انطلاقًا من مبدأ السمع والطاعة. يتلقى الأوامر العليا، ويلزم عناصره بتنفيذها.

2. الخبير أو الفني، الذي عليه مسؤولية تجهيز المحتويات التي تُعنى بالمهام الموكلة للخلية بإنجازها، كجمع المعلومات أو التدريب أو صناعة أدوات الفعل الإرهابي.

3. مسؤول المشتريات والتموين، الذي يتولى تامين كل متطلبات تنفيذ مهام وعمل الخلية.

4. مسئول التحري والتقصي، للتأكد من أن عناصر الخلية في مأمن عن أعين أجهزة الأمن.

5. وفي كل خلية يتم ممارسة هذ المسؤوليات من قبل كل عنصر بحسب دوره، بما لا يتعارض وعملية الذوبان الاجتماعي، والتخفي، وممارسة التغطية والسرية، كالأعمال التجارية أو الوظيفية وما في حكمها؛ مع أهمية إدراك أن ذلك ليست قاعدة ثابته، ذلك أن طبيعة العمل الإرهابي وطبيعة المستهدفات، وبعدي الزمان والمكان، وحرية القيادة، هي من تختار وتحدد الآلية المناسبة.

الخلايا النائمة سلاح يرعب الدول

تتلقى تنظيمات التطرف العنيف الكثير من الضربات الأمنية، على مستوى قياداتها، وعلى مستوى عناصرها، وعلى مستوى خلاياها الإرهابية، وأيضًا على مستوى بنيتها التحتية، لكنه بالرغم من ذلك لا يمكن الاطمئنان كثيرًا على زوال خطرها، ذلك أنها تلجأ إلى استراتيجيات بديلة. ولعل أفضل بديل حاليًا يتمثل فيما يسمى بالخلايا النائمة، والذي تميز في صناعتها تنظيم «داعش» تحديدًا؛ فعلى الرغم من أنه تعرض للكثير من الضربات الأمنية والعسكرية، وتم اغتيال العديد من قياداته، لكنه ما زال يمثل خطرًا مؤرقًا في الكثير من المجتمعات العربية والإسلامية والغربية، وستكون إستراتيجية الخلايا النائمة لتنظيم «داعش» وغيره من تنظيمات التطرف العنيف الموجودة حاليًا أو المتوقع نشوؤها في المستقبل، - في تصورهم - هي خيار مثالي وبديل مقبول للنتائج الإيجابية التي تحققها. ولذلك نتوقع باستمرارية هذه الاستراتيجية.

إن تأكيدنا على خطر الخلايا النائمة لا ينبع من طبيعة بنيتها وسريتها وذوبانها في المجتمع فحسب، بل لأنها البديل المناسب للعمل الإرهابي التنظيمي الرسمي، والذي لجأت إليه تنظيمات التطرف العنيف وستتبناه كإستراتيجية موجعة ومؤلمة للدول والمجتمعات المستهدفة، بل وسيلة هدم في الجدار الأمني لها، وإذا ما وهن ذلك الجدار وانهدم كله أو بعضه، ظهر التنظيم بوجهه القبيح كتنظيم رسمي بهيكلته الوظيفية، وإعلان نفسه البديل المناسب في إدارة شؤون المجتمع. ومن هنا كانت خطرًا مرهبًا للمجتمع، يتأكد ذلك من خلال الكثير من المعطيات التي تمنحها الاستمرارية والتجدد بالوان مختلفة، فضلاً عن النتائج التي تحققها بأقل التكاليف والمخاطر؛ وادناها نشر الخوف والذعر والإرهاب في المجتمع المستهدف.

أسباب استمرارية خطر الخلايا النائمة

عندما نؤكد على أن استراتيجية الخلايا النائمة هي خيار بديل واستراتيجي لتنظيمات التطرف العنيف – وفق رؤية تلك التنظيمات –، وبالأخص تنظيم داعش، **فإنما ذلك يستند إلى وجود دواعي الاستمرارية وأسبابها، ومنها:**

1. **المنابع الفكرية الدينية المشوهة والمشوشة**، التي تمنح الاستمرارية الفكرية المنحرفة، ويتوارثها سيئو الفهم وسيئو القصد، ويتمحورون فيها وحولها، وبها يجذبون ويغررون الجهال والبسطاء، وذوي الظروف الاجتماعية المضطربة.
2. **المصالح السياسية**، التي تدفع ببعض الدول إلى صناعة جماعات التطرف العنيف أو اختراق القائم منها ودعمها، من أجل تحقيق مصالحها السياسية والاقتصادية.
3. **المشكلات الاجتماعية**، التي توفر بيئة جاذبة للتطرف العنيف، أو تمثل مصدر دعم بشري مغذي لجماعاته.
4. **الادعاء بوجود القوات الأجنبية في بعض الدول الإسلامية**، التي يُنظر إلى وجودها على أنه استعمار جديد بهدف نهب الثروات، وحرمان شعوب تلك الدول منها.
5. **التأثير على الهوية الدينية والثقافية للمجتمعات الإسلامية**، من خلال القوة الناعمة التي تفرضها الدول الغربية، عبر وسائل التقنية الحديثة، بهدف إضعاف قوة الدين الإسلامي.
6. **القضية الفلسطينية**، التي وظفتها كثيرًا جماعات التطرف في تجنيد وجذب الشباب.
7. **المكتسبات التي حققتها بعض قيادات جماعات التطرف العنيف**، ميدانيًا واقتصاديًا ومعنويًا، لن تتخلى عنها بسهولة، وستمارس كل أنواع وأساليب العنف للمحافظة عليها.
8. **الأوضاع الأمنية الصعبة أو المضطربة في بعض الدول الإسلامية**، كالاضطرابات السياسية أو الاقتصادية؛ التي تمثل بيئات مثالية لنمو وترعرع تنظيمات التطرف العنيف فيها.
9. **وسائل التقنية الحديثة**، التي يسرت الكثير على جماعات التطرف العنيف، من حيث التجنيد والتدريب والدعم المالي واللوجستي، وأيضًا نشر دعاياتهم ودعواهم وأفكارهم التطرفية.

كل تلك المعطيات وغيرها تُنبئ باستمرارية التطرف العنيف، وبأساليبه المختلفة، فما أن ينكمش أو يصاب بالخمول والكمون في زمان ما أو في مكان ما، لا يلبث أن يبزغ فجره من جديد في زمان أو مكان آخر. وبالتالي يظلّ التطرف العنيف ومن خلال وسائله المتعددة خطرًا قائمًا، ربما لا يمكن التنبؤ بسلوكياته العنيفة، خاصة في ظلّ استراتيجية الخلايا النائمة، وأيضًا المستجدات والمبتكرات العنيفة التي تفاجئ بها بعض تلك التنظيمات (داعش نموذج) خصومها أو الوكالات الأمنية. أيضًا في ظل سعي جماعات التطرف القائمة إلى استعادة أنفاسها بعد الضربات التي منيت بها، مستغلة بعض الظروف الاجتماعية والاقتصادية والصحية.

منطلقات الخوف من الخلايا النائمة

يشكّل التطرف العنيف رعبًا مجتمعيًا، بل إن أحد الأهداف التي يسعى إليها هو نشر الخوف والذعر بين أفراد المجتمع المُستهدف، ولذلك تبنى تنظيم داعش هذا النهج الإستراتيجي، فيما عرف بالصدمة النفسية (قطع الرؤوس والحرق) بهدف نشر الرعب والذعر والخوف، ليس على مستوى الأفراد، بل على مستوى المجتمع ككل بما في ذلك الحكومات. وعلى الرغم من أن تلك الإستراتيجية تحقق نتائج في الرعب للمجتمع المستهدف، إلا أنه لا شيء يزيد الشعور بالخطر أكثر من الخلايا النائمة؛ ذلك أنها تجعل الشعور بالخوف ملازمًا للمستهدف فردًا أو مجتمعًا وباستمرارية، بل إنه قد يتجدد عند المستهدف ذلك الشعور بالخوف والخطر بمجرد وجوده في مواقع شبيهة بمواقع حصل فيها حدث إرهابي، أو بمجرد رؤية شخص أو أشخاص تبدو ملامحهم أو مظاهرهم الخارجية ممن تعوّد رؤيتهم على أنهم عناصر إرهابية. ولذلك دائما ما يكون هناك خوف وتوجس من أن تكون بعض التجمعات التجارية وغير التجارية، أو بعض المؤسسات أهدافًا لعناصر خلايا نائمة، يتم تنشيطها من القيادة التنظيمية.

وهذا الإرعاب كثيرًا ما يدفع المجتمع الدولي إلى التفاعل مع أي حدث إرهابي يقع على أي مساحة جغرافية. ولذلك فقد يكون: «بيانًا واحدًا من أصغر إرهابي في أقصى مكان في العالم يهدِّد فيه بضرب مرفق أو مدينة أوروبية أو أمريكية، يصيب الجهات الأمنية وغيرها بالهلع، فتهرع إلى تعزيزات واجراءات أمنية قد تعطل أو تشوه الشكل الطبيعي للحياة، وتكلف جهودًا وأموالًا طائلة، بينما التهديدات المقابلة

واللجوء إلى الوسائل والأسلحة العسكرية المتطورة التي لا تنال من الإرهابيين بقدر ما تنال من المدنيين الآمنين تزيد من حماس هؤلاء الإرهابيين ومن تعاطف البعض معهم ممن يحملون تصوراتهم المذهبية المحدودة» (يوسف، 2018 – 2019، ص: 179).

وتأسيسًا على ما سبق، نقول إن الخلايا النائمة كأحد الأذرع لتنظيمات التطرف العنيف، تمثل سلاحًا مرعبًا للمجتمع الدولي، لعددٍ من المعطيات، **ومنها**:

1. **الاتكاء على الأيديولوجيا**: عناصر خلايا التطرف العنيف النائمة، مثلهم كبقية أعضاء تنظيمات التطرف العنيف، في اعتناق أيديولوجيا متطرفة – بصرف النظر عن الدوافع والأسباب – وهذا الفكر الأيديولوجي بمثابة الغذاء للروح أو الوقود الذي يمنح الحركة والدينامية والاستمرارية.

2. **التحول العنيف**: من طبيعة المهمة الأساسية لعمل الخلايا النائمة، أن تكون بديلًا لإستراتيجية العنف الإرهابي، أو ما يساهم في تحقيق أهدافه، أو حتى يحقق بعض أهداف جماعات التطرف العنيف؛ أي أن صناعة الخلايا النائمة لتحقيق أهداف محددة مسبقة، ومنها المهمة الأساسية كبديل مهم للفعل العسكري.

3. **العنف غير المميز**: طبيعة تنفيذ مهام الخلايا النائمة، إذا ما تم إيقاظها من القيادة التنظيمية للتطرف العنيف، أنها تباشر بتنفيذ ضرباتها العنيفة باستهداف أي شيء وكل شيء (العشوائية المقصودة).

4. **التمويه والتخفي**: عالم الخلايا النائمة عالم خفي غير مرئي، فالسرية المطلقة والتخفي من أهم ما يميز صناعتها، التي يتم التدريب المكثف عليها لتصبح جزءًا من شخصية عنصر الخلية. ثم تكون المرحلة التالية التي تتمثل في الستار أو الغطاء الوظيفي الذين يمارسونه كنشاط معيشي معروف أمام العامة، ومن خلاله يباشرون نشاطهم الحقيقي الذي تشكلوا من أجله تخطيطًا وتدريبًا ومعلوماتيًا.

5. **التحكم في بعدي الزمان والمكان**: الخلايا النائمة – بوصفها أحد إستراتيجيات تنظيمات التطرف العنيف – هي صاحبة الكلمة الأولى في نشاطها، بدءًا من اختيار عناصرها، مرورًا باختيار الدول أو المجتمعات المستهدفة، وكذلك الأماكن أو المؤسسات التي يتقرر استهدافها، وأيضًا الأشخاص أو الشخصيات المرشحين للاستهداف. وكذلك هم في الأغلب من يحدِّد الزمان المناسب؛ أي الساعة بل والدقيقة التي تمثل ساعة الصفر في التنفيذ.

6. **عابرة للقارات**: الساحة الدولية تعد مسرحًا مشروعًا ومشرّعًا أمام أنشطة تنظيمات التطرف العنيف، وهو ما يعني أنه لا دولة ستكون بمنأى عن الخطر الإرهابي، وبالتالي فإن صناعة أو تنقل تنظيمات التطرف العنيف من خلال خلاياه النائمة بين الدول مرجح وبقوة، لا سيما عندما يضيق عليها الخناق أمنيًا ومجتمعيًا في دولة أو مجتمع ما، أو عندما تضرب وتجابه بالقوة العسكرية.

7. **الأسلوب الزئبقي**: إلى جانب القدرة في التخفي والتمويه – وهو ما تحدثنا عنه آنفًا – يستطيع عناصر الخلايا النائمة التنقل بين الدول والمجتمعات تحت عناوين متعددة، أو أنها تتسرب مع النازحين والمهاجرين، ثم يذوب عناصر تلك الخلايا في المجتمع، أو يعملون في مهن متعددة لا تثير الشك في أوضاعهم.

8. **الخطورة الإلكترونية**: مهام الخلايا النائمة تتعدد وتتنوع بحسب الأهداف التي يرسمها التنظيم الأم، ومن بين تلك المهام الإرهاب الإلكتروني. وتشارك بذلك الخلايا النائمة في مهمة الإرهاب الإلكتروني الذي هو بالدرجة الأولى من مهام الخلايا الإرهابية؛ ولذلك يتم صناعة خلايا نائمة يتم تدريبها وتأهيلها علميًا وعمليًا في مجال التقنية والحواسيب والوسائل الاتصالية الحديثة، وكذلك في البرمجيات صناعةً وهدمًا.

9. **الفئات العمرية الصغيرة**: دائما ما يكون صغار السن هدفًا لقادة تنظيمات التطرف العنيف، ليس ذلك فحسب، وإنما هدفًا لعصابات الجرائم بأنواعها، وأيضًا هي فئة مناسبة ومحببة للكثيرين من أمراء الحرب والمليشيات الطائفية. حيث يتم استهداف هذه الفئة للكثير من المعطيات الاجرامية، منها: الاتجار بهم، واستغلالهم جنسيًا، واستثمارهم في بيع وتوزيع المخدرات والمهربات، إلى تجنيدهم قسريًا في الأعمال العسكرية والعنفية، وكذلك سهولة إقناعهم في العمليات الانتحارية، ثم أيضًا استخدامهم في عمليات النقل والتنقل معلوماتيًا وأدواتيًا، لضعف احتمالية الشك فيهم.

10. **عنصر المفاجأة**: عندما تتشكل الخلايا النائمة، فإنه يتم تدريبها وتأهيلها على كل المعطيات التي تجعل من النجاح وتحقيق الأهداف حليفها؛ ولعل أحد أهم تلك المعطيات المباغتة والمفاجأة؛ لأنه بالضرورة تحدث الكثير من ردود الفعل الإيجابية للتنظيم الأم وأتباعه ومناصريه ومؤيديه، وفي المقابل ردود فعل سلبية للمجتمع المستهدف وعلى السلطة السياسية القائمة

وأجهزتها الأمنية.

11. **الاستمرارية:** إذا ما تم كشف خلية أو القبض على عناصرها، لا يمكن الاطمئنان إلى أن الخطر زال – نعم قد يبطئ أحيانًا – لكن طبيعة صناعة الخلايا النائمة، وطبيعة مهامها والأهداف المؤمل أن تحققها، يدفع إلى الاعتقاد بترجيح وجود خلايا نائمة أخرى، أو أن العمل قائم ومستمر في نشوء وصناعة خلية أخرى أو أكثر، حتى وإن حصل هدوء وصمت طويل من طرف التنظيم الأم.

12. **التحديات الأمنية:** هناك الكثير من التحديات والصعوبات الأمنية التي تجابه الأجهزة الأمنية والأجهزة المعلوماتية وأجهزة محاربة الإرهاب، والتي تضع هذه الأجهزة في مواقف محرجة ومربكة، بل تدفع بها إلى التوتر وارتكاب بعض من الأخطاء التي يتم استثمارها من قبل تنظيمات التطرف العنيف؛ وتكون نتائجها سلبية في المستوى الاجتماعي؛ ومما يزيد الأمر سوءًا وتوترًا على تلك الأجهزة أن النتائج المؤمل الوصول إليها في درء أو تحجيم خطر الخلايا النائمة متواضع في الغالب، لا تتناسب والجهود الكبيرة والمكلفة لتلك الأجهزة الأمنية. وقد يُعد ذلك نتيجة طبيعية للتعقيدات والدقة التي تصنع بها الخلايا النائمة والسرية المطلقة في تحركاتها وأساليب التخفي والتمويه الاحترافية، التي قد لا يدركها الشخص العادي، الذي لا يعمل في الميدان الأمني. **ومن أهم تلك التحديات الأمنية:**

أ. **الإيديولوجية**، التي تعتنقها عناصر الخلايا النائمة، والتي يتم بناؤها في عقولهم من قبل قيادة التنظيم الأم، وبطريقة نفسية تستلب العقول والقلوب معًا.

ب. **البيئات المهيأة**، والمتمثلة في الأرضية الصالحة لاستنبات الخلايا النائمة، في ظلّ قدرة بعض تنظيمات التطرف العنيف على صناعة وعي مجتمعي يؤمن بأيديولوجيتهم التطرفية، والتي تجيد تسويقها عاطفيًا ونفسيًا بالأساليب المدغدغة للمشاعر.

ج. **السرية المطلقة**، ذلك أنه بطبيعة بناء الخلايا النائمة وعملها، دائمًا ما تتصف بالسرية في كل مراحلها، والتي تُبنى بداية على الاختيار الدقيق لعناصرها، ممن تتوفر فيهم الكثير من الصفات التي يصعب الشك فيهم أو القدرة على اختراقهم.

د. **الأعداد الكبيرة**، على الأرجح للخلايا النائمة التي تتبع تنظيم معين، والتي تقدر بالمئات، بل عند بعض التنظيمات بالآلاف، كما عند تنظيم «داعش» في المناطق التي نمى وترعرع فيها، أو تلك التي كلفها بالبقاء فيها كما في بعض الدول الأجنبية.

هـ. **الذوبان في المجتمع**، والذي يُعد من أهم سمات الخلايا النائمة ذوبان عناصرها في المجتمع، وممارسة النشاط الاجتماعي والتفاعل مع مكوناته وأطيافه بصورة طبيعية، وكذلك النمو في الكثير من المؤسسات الاجتماعية، وممارسة الأعمال التجارية، وكل ذلك دون لفت الأنظار أو ما قد يثير الشك والريبة.

و. **الرغبة في الانتقام**، عند تنظيمات التطرف العنيف أحد أهم مغذيات استمراريتها؛ ولذلك تعمل تلك التنظيمات على تعزيز الوعي لدى عناصرها ومؤيديها والمتعاطفين معها على فضيلة الانتقام.

ز. **اللامركزية**، حيث أنه على الأغلب تفوض القيادة التنظيمية عملية تشكل الخلايا النائمة لبعض عناصرها، أو ممن يتم ترشيحه لذلك ولديه موثوقية من قبل القيادة التنظيمية، ويكون هناك مرونة في تشكيل الخلايا، وعدد عناصرها، والمهمات الموكلة لهم، وفي التدريب، وطريقة التخفي، اختيار الغطاء الشرعي، وحتى المصروفات المالية، وكذلك الأدوات المرشح استخدامها في الفعل الإرهابي.

ح. **الاحترافية**، التي تتمتع بها تنظيمات التطرف العنيف، والتي تيسر لها الابتكارية في الوسائل والأساليب العنيفة، وتمنحها قدرة الاستباقية ومفاجآت الخصوم؛ وتلك الاحترافية مؤشر على المستوى الذي وصلت إليه تلك التنظيمات من التطور والارتقاء بمستوياتهم العلمية والعملية والفنية.

ط. **القدرة التنظيمية**، أي قدرة تنظيمات التطرف العنيف في الجذب والتجنيد والتعاطف، وأيضًا قدرتهم في الوسائل والأساليب المعينة على ذلك، وفي أكثر من مجال، يتقدمها المجال الأيديولوجي الذي يمثل القوة المغناطيسية التي تجذب الشباب فكرًا وجسدًا إلى تنظيمات التطرف العنيف، إنْ بصورة مباشرة كعناصر فعالة في الفعل الإرهابي، وإنْ بصورة غير مباشرة تعاطفًا وتأييدًا ودعمًا.

ي. **التجارب التنظيمية**، تلك التي تتمتع بها عناصر تنظيمات التطرف العنيف، بما فيها الخلايا النائمة، من خبرات وتجارب ومراس، وذلك من خلال مشاركة الكثير منهم في معظم العمليات القتالية في مناطق الاقتتال والصراع؛ بل إن الكثير من عناصر تلك التنظيمات المشاركة بصورة مباشرة فيما يسمى بـ «الجهاد» تتحول إلى عناصر خلايا نائمة،

وهـم مؤهلـون نفسـيًا ومهاريًـا ومعرفيًـا، بـل ولديهـم الاحترافيـة في العمـل تحـت الأرض والتحـول إلـى قـوة ضاربـة إذا مـا صـدرت التوجيهـات القياديـة لهـم.

ك. ضعف التعاون المعلوماتي، ذلـك أن التكاملـي بـين دول المجتمـع الدولـي معلوماتيًـا وأمنيًـا مـن الأسـس المهمـة في محاربـة منظومـة التطـرف العنيـف، وتحييـد خطـره؛ فالتعـاون الدَّولـي في محاربـة الإرهـاب يُعـد بمنزلـة رأس الحربـة في مواجهتـه؛ بالنظـر إلـى أن التطـرف العنيـف يمثـل مشـكلة دوليـة عابـرة للحـدود، لاعتقـاد قادتـه ومنظريـه أن كل السـاحات الدوليـة مشـرعنة أمامهـم لممارسـة نشـاطهم فيهـا مـا سـنحت لهـم الفرصـة أو تطلبـت أهدافهـم ذلـك.

ل. التشظي التنظيمي، الـذي تتعـرض لـه بعـض تنظيمـات التطـرف العنيـف نتيجـة الضربـات الأمنيـة، كمـا وقـع لتنظيمـي «القاعـدة» و «داعـش»، اللذيـن تعرضـا للضربـات العسـكرية والأمنيـة التـي نفذهـا التحالـف الدولـي ضـد داعـش في المناطـق الجغرافيـة التـي ينتشـرون فيهـا، وتدميـر بنيتهمـا العسـكرية والإداريـة والماليـة والإعلاميـة؛ وأيضًـا اغتيـال بعـض قادتهـا وأُمـراء الحـرب فيهـا. هـذه الخسـائر التـي تمُنـى أو منيـت بهـا تلـك التنظيمـات بالضـرورة تـؤدي إلـى تشـتيت عناصرهـا مـا بـين الاختفـاء تحـت الأرض، أو التسـرب إلـى دول الجـوار، أو إلـى بعـض الـدول التـي تـرى فيهـا البيئـة المناسـبة لإمكانيـة ممارسـة النشـاط التطـرفي العنيـف. ويكـون ذلـك إمـا بإيعـاز مـن القيـادة التنظيميـة مسـبقًا، أو مـن قبـل القيـادة الحاليـة التـي تتولـى زمـام الأمـور.

م. الحواضن الاجتماعية، حيـث تتوفـر بعـض البيئـات المناسـبة لنمـو وانتشـار التطـرف العنيـف، وبالأخـص فيمـا يتعلـق بصناعـة الخلايـا النائمـة، إذا مـا كانـت تلـك البيئـات تعانـي مـن ضنـك العيـش أو التهميـش، أو ضعـف التنميـة الاجتماعيـة، يقـل فيهـا علـى الأرجـح الشـعور الانتمائـي للوطـن، بدافـع الغـبن والقهـر مـن الواقـع الاجتماعـي السـيئ الـذي يعيشـونه في مقابـل مـا قـد ينعـم بـه غيرهـم مـن تـرف وحيـاة مريحـة ومرفهـة.

ن. العمليات الانتحارية، فالخلايـا النائمـة بحسـب طبيعـة عملهـا أو المهـام المسـندة إليهـا مـن القيـادة التنظيميـة، ممارسـة الأفعـال العنيفـة البديلـة، إذ مـا انتقلـت مـن حالـة السـكون إلـى الحالـة المتحركـة في ممارسـة العمليـات العنيفـة ضـد المسـتهدفات المخطـط لهـا مسـبقًا. ولأن العمليـات البديلـة متعـددة ومتنوعـة والخيـارات فيهـا مفتوحـة بحسـب الأهـداف، فـإن أحـد أهـم الخيـارات البديلـة وأخطرهـا هـي العمليـات الانتحاريـة المثيـرة للخـوف والقلـق.

صفوة القول: واقـع الخلايـا النائمـة، الـذي ينبـئ بمسـتقبلها، وفقًـا لما تؤكـده كل المؤشـرات، أنـه مسـتقبل مملـوء بالأحـداث العنيفـة مـن جـراء تلـك الخلايـا، وأنـه مـن الصعوبـة بمـكان تخلـي تنظيمـات التطـرف العنيـف وتحديـدًا تنظيـم «داعـش» عـن اسـتراتيجيهم الإرهابيـة. وإذا مـا كان قـد حصـل تراجـع أو انتكاسـة فإنمـا ذلـك بمثابـة اسـتراحة محـارب، والتقـاط الأنفـاس، كمـا أنهـا فرصـة لإعـادة التقييـم والبحـث عـن الأسـباب التـي أدت إلـى تلـك الإخفاقـات، ومـن ثـم البحـث عـن البدائـل التـي تشـجع علـى اسـتئناف العمـل الإرهابـي، يتأكـد ذلـك مـن خـلال القـراءة الدقيقـة والمتأنيـة لاتجاهـات وتطلعـات تلـك التنظيمـات، وأيضًـا مـا تعبـر عنـه مصالـح بعـض الـدول التـي تـرى فيهـا مـا يحقـق لهـا الكثيـر مـن المصالـح السياسـية والاقتصاديـة. والأخطـر مـن ذلـك الفكـر الإيديولوجـي الـذي يمثـل أكسـير الحيـاة لتلـك التنظيمـات، والوقـود الـذي يمنحهـا الاسـتمرارية. وقـد تكـون فتـرة الكمـون لتلـك التنظيمـات هـي الفتـرة المناسـبة لصناعـة ونشـوء الخلايـا النائمـة، وتدريبهـا وتأهيلهـا، وتجنيـد المزيـد مـن العناصـر المناسـبة لهـذا النـوع الإرهابـي، وإذا مـا حـان الوقـت المناسـب اسـتيقظت وضربـت ضربتهـا المؤلمـة والمرعبـة.

وتأكيـدًا لما سـبق، كشـفت دراسـة للمركـز الأوروبـي لمكافحـة الإرهـاب علـى أن خطـر الخلايـا النائمـة، وأيضًـا الخلايـا الإرهابيـة يكمـن علـى مسـتوى دول أوروبـا في أن تعطيلهـا بالـغ الصعوبـة والتعقيـد، ويحتـاج إلـى جهـد أمنـي واسـتخباري كبيـر، لاسـيما أن تأثيـر التنظيـم الأيديولوجـي لـم يتلاشَ بعـد، ومـا زال العديـد مـن الشـباب الأوروبـي متأثريـن بالفكـر المتطـرف، وربمّـا يتحوّلـون إلـى هجمـات إرهابيـة في أي وقـت لا يمكـن التكهـن بهـا ولا يمكـن منعهـا. ولفتـت الدراسـة أن التقاريـر الاسـتخباراتية الأوروبيـة الصـادرة، تشـير إلـى أن تنظيـم داعـش هُـزم علـى الأرض، لكـن خطـورة التنظيـم مـا زالـت قائمـة، ولـم يتـم القضـاء علـى الخطـر بعـد، وعلـى الرغـم مـن نجاعـة الإجـراءات والتدابيـر المشـددة التـي اتخذتهـا العديـد مـن الـدول الأوروبيـة، إلَّا أنـه مـا تـزال ثمـة شـكوك بشـأن ميـول واسـتعدادات لتنظيـم هجمـات نوعيـة وخاطفـة مسـتوحاة مـن فكـر التنظيـم (العمـري، 2021).

المراجع

1. العمري، محمود (2021). داعش في أوروبا.. دراسة تكشف سبل المواجهة والتحديات. خبر منشور في موقع صحيفة اليوم السابع. تاريخ النشر 31 يوليه 2021. على الرابط: https://www.youm7.com/story/202131/7/. تم الاسترجاع بتاريخ 22 يناير 2022. س: 2,30 م.
2. الكاش، على (2009). خلايا نائمة ... أم قنابل موقوته؟ مقال منشور في موقع صحيفة دنيا الوطن الإلكترونية الفلسطينية. تاريخ النشر 20 مايو 2009. على الرابط: https://pulpit.alwatanvoice.com/content/print/165421. . تم الاسترجاع بتاريخ 8 ديسمبر 2021. س 1 م.
3. مرصد الأزهر (2020). الذئاب المنفردة.. التعريف والأهداف. تقرير منشور في موقع المرصد. تاريخ النشر 12 نوفمبر 2020. على الرابط: https://www.azhar.eg/observer/details/ArtMID/1142/ArticleID/52711. تم الاسترجاع بتاريخ 15 ديسمبر 2021. س: 10 ص.
4. المركز الأوروبي لدراسات مكافحة الإرهاب والاستخبارات (2021). الخلايا النائمة عند تنظيم «داعش» ـ تعريفها ـ مخاطرها ومعالجاتها. دراسة منشورة في موقع المركز. تاريخ النشر 9 أبريل 2021. على الرابط: https://www.europarabct.com. تم الاسترجاع بتاريخ 7 ديسمبر 2021. س: 1 م.
5. مهدي، محمد محمود (2010). خلايا نائمة في الخليج العربي.. لماذا التجاهل؟ مقال منشور في مجلة آراء حول الخليج (مجلة شهرية تصدر عن مركز الخليج للأبحاث). في موقع المجلة. تاريخ النشر 1 ديسمبر 2010. على الرابط: https://www.araa.sa، تم الاسترجاع بتاريخ 7 ديسمبر 2021. س: 1 م.
6. هدنة، ليلى (2017). خلايا الإرهاب النائمة معركة العالم المقبلة. تقرير منشور في موقع صحيفة البيان الإماراتية. تاريخ النشر 19 ديسمبر 2017. على الرابط: https://www.albayan.ae/one-world/arabs/20171.3135803-19-12-. تم الاسترجاع بتاريخ 30 ديسمبر 2012. س 11 ص.
7. يوسف، مرين (2018 - 2019). التعاون الدولي في مكافحة الخلايا الإرهابية النائمة. أطروحة علمية لدرجة الدكتوراه. قسم القانون. كلية الحقوق والعلوم السياسية. جامعة عبد الحميد بن باديس. مستغانم: الجزائر.
8. Carley, K. M. (2003) Dynamic Network Analysis. In Ronald Breiger, K. M. Carley and P. Pattison (eds.), Dynamic Social Network Modeling and Analysis: Workshop Summary and Papers, Committee on Human Factors, National Research Council (National Research Council, 2003), 133-145.